

فاتورة الكهرباء

مددت يدي إلى الخزانة الصغيرة قرب باب الدار, حيث اعتدنا أنا وزوجتي أن نضع فواتير الماء والكهرباء والهاتف, حتى لا يعيبث بها أحمد .
ذلك اليوم كان طريقي يمر من مركز جباية فواتير الكهرباء, فوق اختياري على تلك الفاتورة... سحبتها بقوة..وأنا أنظر إلى تلك الخزانة المشؤومة التي لا تأتينا إلا بالأخبار السيئة..خرجت من الباب وأنا أفكر بحجم الأوراق التي عليّ تنظيمها و الأوراق التي علي إتلافها....
بعد أن قطعت أكثر من نصف الطريق لاحظت أنني عندما سحبت الفاتورة عن مسمار التعليق كنت قد مزقت الجزء الذي يكتب عليه المبلغ , طوال الطريق وأنا أفكر...
ماذا سأفعل إذا لم أكن أحمل ذلك المبلغ...
لا لا ..هذا الشهر لم نترك سخان الماء يعمل طويلا ..أنا أعرف هذا لقد كنت أطفئه بيدي بعد أن أستحم...

ولكن ماذا لو أن أمينة تركت المدفئة تعمل طوال الليل...
لا لا.. لقد اتفقنا على إطفاءها عندما تصبح الغرفة دافئة...
لم يكن بوسعي الرجوع إلى البيت وأخذ المزيد من النقود لأنه لم يبق الكثير حتى يحين موعد إغلاق الصندوق... والدنيا منتصف الشهر يعني إذا لم أدفع اليوم سأدفع غدا ٢٠٠ ليرة غرامة التأخير ..
٢٠٠ ليرة وكل ما بقي معي لآخر الشهر ٤٠٠ ليرة للطعام والشراب... كنت سأشتري لأحمد أقلام ملونة من أجل المدرسة الآن لن أستطيع ذلك...يا رب استر علينا.
وعندما وصلت المركز قدمت إشعار الفاتورة للموظف فنظر إليه وقام بمقارنته مع أوراق أخرى عنده.. أخذت أتابع حركات عينيه لعلني أعرف قيمة المبلغ, لكنه نظر إلي فجأة فالتقت نظر اتنا...أمسكت قلبي بيدي ولكن حينها سمعت ما لم أتوقعه..كان صوتا موسيقيا عذبا يقول لي...
"فاتورة هذا الشهر مدفوعة"... لم أعرف ماذا أقول لقد انعقد لساني...شكرت الموظف وغادرت المركز.

نسيت الذهاب إلى الوظيفة...توجهت إلى المنزل وقد غمرتني السعادة...
وصلت المنزل وسالت أمينة إن كانت هي من وضعت الفاتورة في الخزانة من غير قصد..لم تكن هي فعرفت أنه أحمد...ناديته "أحمد...يا أحمد" لم أذكر آخر مرة ناديته فيها
"نعم يا أبي.."

عندما سمعته شعرت وكأن سطلا من الماء البارد سكب على وجهي...
لم يكن أحمد..لم يكن ابني الذي أعرفه لقد كان شابا يرتدي الجينز ويمسك كتابا استطعت أن أقرأ بضع كلمات عن غلافه "كلية الهندسة".... "السنة الخامسة"
اقتربت منه...قبلت جبينه....

"لا شيء حبيبي..لا شيء.. فقط أردت أن أطمئن عليك"
نظرت إلى أمينة وأنا أقول لها بعيني "لعن الله الدنيا...كيف تسرقنا عنم نحبهم..."
لقد كانت تبكي .. وحولها باقي العائلة ..أمي .. إخواني.. قبل أن أعرف سبب وجودهم كانوا وضعوا غطاء أبيضاً على وجهي وحملوني بعيداً..